

**المجتمع في تلمسان وأحوازاها من خلال كتاب وصف افريقيا للحسن الوزان**

**The society in Tlemcen and its surroundings according to the description of Africa by Lion the African**

♦ بن مصطفى دريس

جامعة مولاي الطاهر سعيدة، driss.benmostefa@yahoo.com

|                           |                          |                         |
|---------------------------|--------------------------|-------------------------|
| تاريخ الإرسال: 2025/12/11 | تاريخ القبول: 2026/01/20 | تاريخ النشر: 2026/01/31 |
|---------------------------|--------------------------|-------------------------|

**الملخص باللغة العربية:** تهدف الدراسة الى ابراز خصائص المجتمع الزياني وتحديدًا بتلمسان وأحوازاها في آخر عهودها ، أي في مرحلة الضعف والاضمحلال وذلك من خلال مشاهدات وكتابات الرحالة والجغرافي الحسن الوزان حينما زار المنطقة وهي على تلك الحال ، وسنحاول من خلالها تثبيت تلك المعلومات بمقارنتها بما ورد في مصادر أخرى تخص الجانب الاجتماعي أو من خلال اشارات سبقت عهد الوزان ، وبالتالي سيتضمن البحث الطبقات الاجتماعية في المنطقة وما تميزت به من الملبس والصفات والطباع والعادات اضافة والعوامل المؤثرة في تطور السكان سلبا او ايجابا .

**الكلمات المفتاحية:** المجتمع ؛ تلمسان ؛ وصف ؛ افريقيا ، الوزان

**Abstract:** The study aims to highlight the characteristics of Ziyanid society, particularly in Tlemcen and its surroundings, during its last period, or during the phase of weakness and decline, through the observations of the geographer Hassan al-Wazzan during his visit to the region. We will therefore attempt to establish this information by comparing it with that mentioned in other references concerning the social aspect, or with indications predating al-Wazzan's time. Consequently, the research includes a number of elements such as social classes, clothing, characteristics and personality traits, as well as factors influencing the development of the population, both positively and negatively .

**Keywords:** tlemcen; society;description; lion;african

**مقدمة:**

يتفق علماء الاجتماع على ان الحياة الاجتماعية هي مجموع نواحي النشاط الانساني في ميادين عدة كالعمل ، الدين ، التعليم ، النشاط الاقتصادي ، الأسرة وكيانها ،

♦ المؤلف المرسل

الأعياد والأفراح ، المآتم والأحزان والأمراض الاجتماعية ، وبهذا يتعذر أن نلم بجميع أطراف الحياة الاجتماعية لشعب معين في عصر من العصور ، لأن أفق الحياة الاجتماعية نفسه غير محدد حتى يمكن الإلمام بجميع أطرافه ، ولا شك ان المجتمع وتطوره يتأثر بجملة من العوامل توجهه وتتحكم فيه ، ومنها العامل الجغرافي والعامل السياسي والعامل التاريخي وغيرها ، ومن خلال هذا المقال أردنا تسليط الضوء على المجتمع الزياني مركزين على الفترة الأخيرة من عمر هذه الدولة أو الامارة استنادا لما قدمه لنا الرحالة والجغرافي الحسن الوزان خلال زيارته للمنطقة مع بعض الخصائص الاجتماعية لعهود سابقة تكون قد شكلت أساسا لما أورده في حديثه عن هذا المجتمع ، وحاولنا قدر الامكان تحليلها ومقارنتها بما ورد في بعض المصادر الأخرى .

#### **1- التعريف بالمؤلف (الكاتب):**

حسب ما ورد في مقدمة الطبعة الأولى لكتاب وصف افريقيا ، فالوزان هو محمد الوزان الفاسي ، من قبيلة بني زيات الزناتية بأقصى غرب غمارة من سلسلة جبال الريف بين ساحل البحر المتوسط ومجرى وادي لاو بالمغرب الأقصى . ولد بمدينة غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس أو شبه الجزيرة الأيبيرية قبل سقوطها في يد الاسبان سنة 1492م/898هـ ، ويشير البعض الى أن ذلك كان سنة 901م/1495 ، وبعضهم الى عام 906م/1500م ، أما المرجح بحكم المناصب التي تقلدها فتاريخ ولادته كان حوالي 888م/1483م اي قبل سقوط غرناطة بنحو عشر سنوات . انتقل مع أسرته صغيرا الى فاس المغربية وتدرس في جامع القرويين على يد الكثير من الأعلام وعلى رأسهم الامام محمد بن غازي المكناسي المالكي ، صاحب كتاب \_الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون\_ ، أما تاريخ وفاته فغير معروف على وجه الدقة أيضا ، لكن معظم الروايات تشير إلى أنه توفي في تونس حوالي عام 1552 أو 1554م ، ويذكر أنه انقطعت أخباره بعد وصوله إلى تونس ولم يتم العثور عليه ، مما يجعل تحديد وفاته الدقيقة صعبًا .

#### **2- التعريف بالمؤلف (المصدر):**

كتاب وصف افريقيا (description de l'Afrique) كتاب رحلة أو كتاب جغرافي ، وهو عبارة عن مذكرات أو تسجيل لمشاهدات قام بها المؤلف فاصبحت أساسا لهذا الكتاب بحكم المهام السياسية المسندة اليه وكذا النشاط الدبلوماسي والتجاري لأسرته ، وقد كتبه الوزان بذهنية متفتحة حتى قيل عنه بأنه تأليف عربي بتفكير اوروبي ، أو أنه اصطبغ بصبغة أوروبية ، ومن مزاياه ايضا النظرة الشاملة على المناطق التي يزورها فلم تضعف همته في بلوغ أقصى التجمعات السكانية النائية والتي تشذ عن الطرق الرئيسية ، اصف الى ذلك نزاهة المؤلف فيما كتب ، اذ نجده موضوعيا فيما يمدح وفيما يذم بغض

النظر عن الانتماء الديني أو عاطفة القرابة أو الدين والوطن ، لكن هذا لا ينفي وقوع الحسن الوزان في جملة من الاخطاء الجغرافية والتاريخية وهذا ما يتطلب من قارئه التدقيق والتحريص .

### 3- طبقات المجتمع التلمساني:

أكد ابن خلدون أن الاجتماع الإنساني ضروري ، لأن الفرد قاصر عن تحقيق حاجاته ، فالإنسان اجتماعي بطبعه ، أي لا بد له من التفاعل الاجتماعي الذي يرتبط بالاستقرار ، وهو يرى أن البيئة الطبيعية تلعب دوراً مهماً في تغيير الحياة البشرية وتطورها وذلك بفضل اعتدال المناخ وما تتوفر عليه المنطقة من ثروات ، فالأقاليم المعتدلة تجذب الناس إليها وتجمعهم والعكس بالنسبة للمناطق ذات المناخ المتطرف التي تؤدي إلى نفورهم ، ومن هنا نجد في دول المغرب عامة والمغرب الأوسط خاصة مناطق مكتظة بالسكان وأخرى تكاد تخلو منهم<sup>1</sup>.

والطبقات الاجتماعية هي فئات هرمية داخل المجتمع يتم فيها تقسيم الأفراد بناء على عوامل عدة مثل الدخل ، والتعليم ، والمهنة ، والثروة ، والمكانة الاجتماعية ، وتشمل هذه الطبقات بشكل عام الطبقة العليا وهي الغنية ، والطبقة المتوسطة ، والطبقة الدنيا أو العاملة والفقيرة وهذا ما يعرف بالنموذج الثلاثي الشائع في عملية التقسيم الطبقي أي حسب المتعارف عليه والمتواتر ، هذا التقسيم أو الوضع الذي يؤثر على المواقف والسلوكيات وعادات الشراء للأفراد داخل كل طبقة ، إذ عادة ما يلجأ علماء الاجتماع إلى مجموعة من العوامل لتحديد الطبقات الاجتماعية داخل أي مجتمع ، وهناك تقسيمات أخرى تربط الأمر بعلاقة الفرد بوسائل الإنتاج وغيرها من الأمور ، والتقسيم الطبقي ظاهرة موجودة في جميع المجتمعات ، بغض النظر عن أنظمتها السياسية والاقتصادية ، فهو يشير إلى تصنيف الأفراد في مجموعات مختلفة بناءً على وضعهم الاجتماعي وثروتهم وقوتهم ، ويتم تصنيف الأفراد بناءً على مستوى امتيازهم والوصول إلى الموارد ، في حين لا يصنف ابن خلدون المجتمع إلى طبقات ثابتة بل يقسمه إلى فئتين رئيسيتين: البدائية التي تتميز بالعصبية والخشونة ، والحضرية ، التي تعيش في المدن وتتسم بالترف والانحلال.

كما يميز بين هذه الفئات بناءً على مراحل تطور الدولة وسقوطها من خلال خمسة أطوار هي: النصر ، والامتلاك ، والرخاء ، والاكتفاء ، والتبذير ، مما يعكس نظريته الاجتماعية والاقتصادية في تطور المجتمعات.

1. انظر ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، دمشق: دار يعرب ، ط 2004 ، 1 ، ص 189 وما يليها .

ونلاحظ في نفس الوقت كما سنرى أن الحسن الوزان شذ نوعا ما عن هذه التقسيمات الاجتماعية الكلاسيكية فتحدث في هذا الخصوص قائلا: ينقسم أهل تلمسان الى أربع طبقات هي:

طبقة الصناع ، ووصفهم بأنهم أناس أقوياء يعيشون في هناء وممتعة ويحبون التمتع بالحياة ، وفي هذا دليل على اغتنائهم وثرائهم ونجاح مهنتهم .

ثم تأتي طبقة التجار وهم حسبه أناس منصفون مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم ، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحسن وجه ، وهذا طبعا يرجع الى ديانة أهل تلمسان فهم مسلمون أولا ، والإسلام حذر من الغش والتدليس وحلف اليمين بالباطل<sup>2</sup> ، أما أهم أسفارهم التجارية فكانت صوب بلاد السودان الغربي<sup>3</sup> ، حيث يوجد اهم مصدر من مصادر التبر الذي كانت تشد اليه الرحال ، وأسست لأجل ذلك شركات

تجارية مثل شركة المقريين<sup>4</sup>.

ويضيف الوزان قائلا بان التجار وافرو الغنى أملاكا ونقودا ، وهناك من السكان من كان يتاجر رأسا مع الاوروبيين ، وعلى سبيل المثال لا الحصر كان سكان بعض المناطق يذهبون بالعسل والشمع والجلود الى شاطئ تنس لبيعونها للأوروبيين ويدفعون أتاوة لملك تنس لما كانت تلك البلاد خاضعة لأقربائه<sup>5</sup>.

ثم تأتي طبقة الطلبة والذين كانوا أفقر الناس ، فهم يعيشون عيشه بائسة في مدارسهم ، لكن عندما يرتقون الى درجة فقهاء يعين كل واحد منهم استاذًا او عدلا او إماما

---

2. من الاحاديث التي وردت في حق التاجر: (( التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)). وكذا ((التاجر الصدوق لا يحجب من أبواب الجنة))، وفي حديث آخر: ((إن التاجر هم الفجار ، قيل: يا رسول الله ، أليس قد أحل الله البيع ؟ قال: بلى ولكنهم يحدثن فيكذبون ويحلفون فيأثمون.

3. يشغل السودان الغربي الرقعة الجغرافية المحصورة بين الصحراء الكبرى شمالا وخليج غانا جنوبا ، والمحيط الأطلسي غربا و بحيرة تشاد شرقا.

4. تأسست شركة آل المقري التجارية بين خمسة اخوة هم:عبد الرحمن ،أبو بكر ،محمد ،عبد الواحد وعلي ،وهم من ذرية يحيى بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن علي المقري والذين مهدوا الطريق اي الرابط بين تلمسان والسودان الغربي عبر الصحراء بحفر الابار وتأمين التجار واتخذوا طبلًا للرحل وراية تقدم عند المسير حسب ما اورده أبو عبد الله المقري انظر المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج5، دار صادر بيروت 1963، ص203 .

5. الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1932 ، ج 2 ، ص45

ففتحسن احوالهم المادية <sup>6</sup> ، أما افراد طبقة الجنود فكانوا كلهم أناس ممتازون حسب الوزن يتقاضون أجرة ملائمة للغاية الى حد أن أقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم ، والتي تعادل ثلاثة دوكات ونصف دوكة ايطالية ، وهذه الاجرة للرجل ولفارس ، اذ كان كل جندي افريقي مفروض عليه ان يكون فارسا محاربا.

ويبدو ان هذا التقسيم الذي اورده الوزن لم يكن كافيا أو شاملا لكل شرائح المجتمع فكان هناك الفحامون والحطابون والفلاحون كسكان جبل بني ورنيد الذي يبعد بثلاثة أميال عن تلمسان <sup>7</sup> ، وكذلك أهل تبحريت الذين كانوا نساجين في معظمهم إلا القليل منهم <sup>8</sup> ، ومدينة تفسرة التي اشتهر أهلها بالحدادة نظرا لتواجد مناجم الحديد بالقرب منها فكانوا لا يشتغلون بغير ذلك ، اذ كانوا ينقلونه خاما الى تلمسان ، أما سكان مدينة العباد الصغيرة الكثيرة الازدهار فكان معظمهم من الصباغين <sup>9</sup>.

#### 4- اللباس:

ان للباس رمزية تتجاوز كونه مجرد غطاء ، فهو يعبر عن الهوية الثقافية ، الاجتماعية ، الدينية ، والتاريخية للفرد والجماعة ، ويدل على الانتماء للمنطقة ، اذ نجد لكل منطقة لباسها الخاص الذي يميزها وخاصة في المناسبات كالأعراس أو المناسبات الدينية ، كما يبرز لنا المكانة الاجتماعية للأفراد ، وحتى الفطرة الإنسانية للستر والجمال من خلال الألوان ، التطريزات ، والقصات التي تحمل دلالات عميقة كالعفة والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال .

تميز اللباس داخل الامارة الزيانية بالتنوع ونوع من التخصص ، اذ كان لكل طبقة أوفئة من المجتمع لباس يميزها ، وتفاوتت قيمة الألبسة من منطقة لأخرى ، فلباس أهل المدن كان مختلفا فيما بينه ومختلفا تماما عن لباس أهل البادية ، فالطلبة مثلا كانوا يلبسون ثيابا مناسبة لوضعيتهم ، فالجبلي يلبس لباس أهل الجبل والأعرابي لباس الأعراب ، اما الاساتذة والقضاة والأئمة وغيرهم من الموظفين فلباسهم أحسن ، لكن حينما يتقلدون وظائفهم <sup>10</sup> ، أما أسوء لباس فهو ذلك الذي كان يلبسه الجنود ، اذ يضعون على ظهورهم قميصا واسعا عريض الكمين يغطونه بكساء كبير جدا من قماش القطن ويلتفون فيه شتاء وصيفا ، مع اضافة سترة من الجلد مصنوعة على نمط ذلك القميص من

6. نفسه ، ص21.

7. نفسه ، ص44.

8. نفسه ، ص15.

9. نفسه ، ص24.

10. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص21.

الكتان غير محشوة في الشتاء ، ويضع العسكريون الارقي درجة فوق القميص كساء آخر من الجوخ وفوقه معطف على نمط المعاطف التي كانت تستعمل قديما في ايطاليا للأسفار يغطون به رؤوسهم عند نزول المطر .

اما التجار الحضريون فيرتدون لباسا جميلا يكون أحسن احيانا من لباس أهل فاس حسب الوزان لأنهم حقا أكثر أناقة وسخاء ، أما لباس الملك فجميل ولائق والجواد الذي يركبه رائع مسروح بفخامة<sup>11</sup> ، لأنه وحسب ابن خلدون ان للسلطان شارات وأحوال تقتضيها الأبهة والبذخ فيختص بها ويتميز بانتحالها عن الرعية والبطالة وسائر الرؤساء في دولته<sup>12</sup> .

أما عن أهل الأحواز أو الضواحي فكانوا أقل شأنًا من حيث اللباس ، اذ نجد أهل تبحريت مثلا يرتدون لباسا مزريا ، يعكس خشونتهم وشظف عيشهم<sup>13</sup> ، أما بالنسبة لليهود فكانوا يتميزون بوضع عمامات صفراء على رؤوسهم دون أن يذكر شيئا آخر<sup>14</sup> .

والملاحظ ان الوزان أغفل الكثير من مكونات ومميزات اللباس في الدولة الزيانية وتحديدا في تلمسان كالبرنس الذي وردت بعض الاشارات الى لبسه لدى السلاطين والولاة ، فالقلقشندي اشار الى ذلك قائلا: (( ويختص بلبس البرنس الرفيع لا يلبسه سيف غيره ))<sup>15</sup> وكذا الشيخ عبد السلام التنسي الذي كان يعمل في أرضه فقصده والي تلمسان للتبرك فنزل عن فرسه وفرش له فتاه برنسه ليجلس عليه<sup>16</sup> كما أفاد ابن قنفذ ، والحايك الرجالي الذي يقول فيهما يحيى بن خلدون انها كانت لهما شهرة كبيرة في المشرق والمغرب<sup>17</sup> ، وكذا الاحرام والرداء والخرقة والطيلسان وغيرها تلمساني مما لبس الرجل بينما غاب عن ما أورده الوزان كل شيء عن اللباس النسوي .

#### 6- صفات السكان وطبائعهم :

اشتهر سكان تلمسان بالكثير من الصفات نذكر منها النظافة الفائقة ، وما يدل على ذلك هو كثرة الحمامات المتفاوتة القيمة ، والتي قال عنها الوزان أنها ناقصة الماء في

11. نفسه ، ص22.

12. ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، ص109.

13. الحسن الوزان ، ص15 .انظر ايضا مارمول كربخال ، افريقيا ، ص296.

14. الوزان ، المصدر السابق ، ص20.

15. القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، الطبعة الاميرية ، القاهرة 1915 ، ص204.

16. ابن قنفذ ، انس الفقير وعز الحقير ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، مطبعة أكدا 1965 ، ص108.

17. انظر يحيى بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 ، ص22.

مقارنة بحمامات فاس بالمغرب الأقصى<sup>18</sup>، إذ ترتبط كلمة الحمام مباشرة بالطهارة ونظافة البدن، ومن تلك الحمامات نجد حمام العالية الذي يقع بالقرب من باب الحديد والذي وصفه العبدري بقوله: ((وبها حمامات نظيفة ومن أحسنها وأنظفها حمام العالية وهو مشهور وقل أن يرى له نظير<sup>19</sup>، وأيضاً حمام الصباغين الذي يعد من أقدم الحمامات في تلمسان وقد أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان بجوار سوق الصباغين، أضف الى ذلك حمام الحفرة الواقع بالقرب من سيدي اليدون<sup>20</sup>.

وعرف أهلها حسب العبدري بانهم أهل ليانة وأنهم لا بأس بأخلاقهم<sup>21</sup>، كما عرف سكان بعض الضواحي بالنبل والشرف على غرار سكان هنين<sup>22</sup>، واشتهر أهل تلمسان عامة بذوقهم الراقي والرفيع، وهذا من خلال جمال القصور وبنائاتها التي ضمها القصر الملكي والقصور الأخرى الصغيرة المزودة ببساتينها وسقاياتها، وكلها مبنية بكامل العناية وبأسلوب فني رائع<sup>23</sup>.

لا شك أن هناك من السلاطين الزيانيين من غرس هذه الثقافة في نفوس الرعية وشجع عليها، فنجد أبا تاشفين الأول<sup>24</sup> قد بلغ عدد الدور والمنازل في عهده نحو ستة عشر ألف داراً هذا الأخير الذي كان يتميز عن غيره بالذوق الفني الرفيع وبالثقافة الواسعة فكان رساما ومهندسا، وقد عبر يحيى بن خلدون عن رهافة حسه وتذوقه للجمال والأشكال بقوله: ((مع صدقه بالاختراع وبصره بالتشكيل والابتداع)) ويعلق التنسي عن ذلك أيضاً بقوله: ((كان مولعا بتجبير الدور وتشيد القصور وبناء المصانع وغرس الرياض والبساتين وإنشاء المنتزهات)).

18. الوزان، المصدر السابق، ص20.

19. محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات 2007، ص28.

20. الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور\_دورها في سياسة وحضارة الجزائر\_المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص206 ان هامش 2

21. العبدري، المصدر السابق، ص28.

22. الوزان، المصدر السابق، ص15.

23. نفسه، ص20.

24. أبو تاشفين الأول ابن حمو موسى الأول خامس سلاطين الدولة الزيانية حكم من عام 1318 إلى غاية مقتله في عام 1337.

أما أهل هنين فكانوا يملكون دورا في غاية الجمال والزخرفة ، فكان لكل جدار بئر من الماء العذب ، وفناء مغروس بكرم معروش ، أرضها مبلطة بالزليج الملون وسطوح الحجرات مزينة بنفس الزليج والجدران كلها مكسوة بالفسيفساء الفنية<sup>25</sup>. ويورد لنا الفيلاي قولاً بأن منازل العامة أو البيت التلمساني في العصر الوسيط كان مربع الشكل في غالب الأحيان ، لا يكتسي أي مظهر جمالي من الخارج ، أما من الداخل فهي تشتمل على كثير من مظاهر الزينة والزخرفة والراحة<sup>26</sup>. ويؤكد ابن خلدون عبد الرحمن هذا بقوله: ((فاختطوا بها القصور المؤنقة والمنازل الحافلة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه ، فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية.....))<sup>27</sup>. ومن صفات بعضهم أيضا النبل والشدة والكرم والمجاملة<sup>28</sup> ، كما اشتهر أهل تلمسان المدينة خاصة بالصبر على الشدائد والقضاء ، وذلك ما نلاحظه عليهم من خلال مواجهة سلسلة الحصارات المفروضة عليهم من الشرق ومن الغرب ، أي من الجارتين المرينية والحفصية ، وهنا يقول الوزان: ((ورغم ذلك \_أي رغم انفك الحصار\_ فقد تألم أهل تلمسان كثيرا كل واحد من طول الحصار الذي فرض عليه))<sup>29</sup> ، أضف الى ذلك الكرم والشجاعة والوفاء<sup>30</sup>.

وكان أهل تلمسان يمتازون بالحشمة ، فنوافذ المنازل ان وجدت فهي نوافذ صغيرة لا تعرض الحريم للرؤية من الخارج ، لأن نساءهم كن عفيفات ، اذ برهن على اخلاصهن وشجاعتهن وشرفهن بطلبهن من الملك ان يقربهن من مهالكهن خشية ما قد يحصل لهن من السبي والذل والعار اذا ما استشهد بعولهن عند ملاقاتهم ببني مرين<sup>31</sup> ، ونجد بالمقابل أهل بعض الضواحي يمتازون بالخشونة وانعدام التربية مثل أهل تبهرت على حد قول الوزان<sup>32</sup> ، وكان البعض من سكان الامارة وحتى السلاطين يؤمنون بالأولياء

25. الوزان ، المصدر السابق ، ص15

26. عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 ،

ص119

27. ابن خلدون عبد الرحمن ، العبر ، ج7 ، ص161\_162.

28. الوزان ، المصدر السابق ، ص44\_45.

29. الوزان ، المصدر السابق ، ص19.

30. يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص125.

31. عمرو الطاهر ، المرجع السابق ، ص103.

32. الوزان ، المصدر السابق ، ص15.

الصالحين وكراماتهم ، فكان سكان البطحاء مثلاً يؤمنون بأحد النساك<sup>33</sup> الذي أقام هو وعدد من أتباعه فكانوا يرون فيه ولياً صالحاً فلم يكن يؤدي لا هو ولا أتباعه أي أتاوة للملك ولا للإعراب لا لشيء إلا لأنه يعد من الأولياء<sup>34</sup> ، وضريح سيدي أبي مدين الغوث الواقع بمدينة العباد الذي كان يقصده الناس للتبرك به<sup>35</sup> ، وليس أهل تلمسان فقط وإنما كل أهالي البلاد المجاورة لها ، إذ يستغيثون به ويتصدقون عنده كثيراً ، فكانت ظاهرة شائعة في عموم بلاد المغرب ولدى شريحة واسعة من تلك المجتمعات ، فالموكب السلطاني الذي كان برفقة ابن مرزوق التلمساني كان قد زار ضريح العالم الداودي التلمساني وتبرك به ، ووقف أيضاً على بعض الأضرحة التي يرقد فيها أصحابها من الصالحين عند باب زيري<sup>36</sup>.

كما كانت الفئات الشعبية وبعض الفقهاء يفضلون الإقامة بمدينة أكادير ولا يريدون لها بديلاً لا لشيء إلا لأنها تحتوي على مسجد المولى إدريس الأول العتيق الذي كان الناس يكتثرون من زيارته والتبرك به والصلاة فيه ، وحتى السلطان يغمراسن كان يهتم به كثيراً ويوليه عناية خاصة ويصلي فيه من حين لآخر.

#### 7- علاقة السكان بالسلطة:

اختلفت علاقة سكان إمارة تلمسان وضواحيها بالسلطة أو بالأمراء الزيانيين ، فهناك من السكان من خرجوا عن السلطان أو عاشوا بعيداً عن سيطرة السلطة وتوجهاتها ، فسكان ندرومة<sup>37</sup> الذين كانوا أقوياء تحالفوا مع الجبليين ضد السلطان<sup>38</sup> ، فكانوا يعتبرون أنفسهم أحراراً لكونهم تحت حماية جيرانهم الجبليين حتى أن الملك لم يكن يستطيع أن يحصل علي خراج منهم ، وكان السكان يرفضون أي عمال يوفدهم ملك

33. يذكر مرمول كاربخال أن هذا الناسك هو سيدي سينا وأن أراضيه كانت تسمى سهول سينا كربخال ، إفريقيا ، ص 326.

34. الوزان ، المصدر السابق ، ص 28 انظر مرمول كربخال ، المصدر نفسه ، ص 326..

35. انظر العبدري ، المصدر السابق ، ص 28.

36. عبد العزيز فيلالى ، المرجع السابق ، ص 109.

37 . مدينة تابعة لتلمسان على مقربة من الحدود مع المغرب الأقصى تبعد عن تلمسان بحوالى 58 كيلومتراً نحو الشمال الغربى وهى مدينة ساحلية يورد لنا الوزان أصل التسمية بقوله انها مشابهة او مساوية لروما اي ند لروما وهذا ما يستبعده الكثيرون أما مرمول فيرجع سبب التسمية الى تشابه موقع المدينتين انظر مرمول كربخال ، إفريقيا ، ترجمة محمد حجي وزنير محمد زنير ومحمد الاخضر ، دار نشر المعارف ، الرباط 1988 ، ص 295..

38. والجبليون هم سكان جبل مطهرة الذي يبعد بنحو ستة أميال عن المدينة السالفة الذكر ، انظر الوزان ، المصدر نفسه ، صص 43\_44.

تلمسان إلا برضاهم ، ومع ذلك فإنهم كانوا يرسلون أحيانا هدايا بسيطة حتى يتمكنوا من ادخال سلعهم الى تلمسان<sup>39</sup>.

ووصل الحد بهم في بعض الاحيان الى الوقوف ضده الى جانب الميرينيين ، اذ توجه وفد منهم ومن أهل تاونت<sup>40</sup> الى السلطان يوسف بن يعقوب في منتصف رجب من سنة 698هـ ، فأدوا له طاعتهم فقبلها ، وطلبوا منه التوجه الى بلدهم لتخليصهم من عثمان بن يغمراسن ، ووصفوا له من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزمه على النهوض ، وشجعه فعلا على الشروع في مهاجمتها ومحاصرتها<sup>41</sup>.

كما كان الاعراب القاطنون بالجزء المجاور للصحراء يتعسفون على الساكنة فكان ملوك تلمسان مضطرين دوما الى تهدئتهم بأداء أتاوات كبيرة لهم اضافة الى تقديمهم للهدايا ، ونفس الشيء بالنسبة للسابلة والتجار<sup>42</sup>.

أما سكان منطقة أغبال<sup>43</sup> فكانوا معادين للسلطة الزيانية وموالين لحكومة مدينة وهران التي سقطت في أيدي الاسبان ، رغم ما نالهم من الجوع وعسر الحال ، اضافة الى ما كان يلحقهم من أذى من الاسبان أنفسهم .

وبالنسبة لسكان العاصمة تلمسان فكانوا في بعض الفترات أشد التحاما بالسلطان ، حتى أن عثمان بن يغمراسن جلب الرعية اليه و بين لهم مكانتهم عنده ، حينما ذهبوا اليه يشكون المجاعة وضيق الحال قال: انني اقبل ان اطعمكم لحمي ان كان ذلك يكفي لإعالتكم جميعا ، واعتبر ذلك بخسا في مقابل ولائهم له ، وليؤكد لهم ضيق حاله ايضا فانه أحضر خمسة أو ستة من أعيان الشعب وأرسلهم الى مطبخه

39. الوزان ، المصدر السابق ، ص14.

40. حصن تاونت هو ما يُعرف لدى العامة بـ"لالة غزوانة" ، وهو موقع أثري ورد ذكره في بعض المصادر التاريخية ، ولا تزال بعض آثاره المعمارية شاهدة على تاريخه الذي لا زلنا نجهل عنه الكثير ، كما أن بعضها لا يزال مطمورا تحت سطح الأرض ، وبعضها الآخر اندثر كليا ، لكن حفظته لنا الذاكرة الشعبية ، وفي الوقت الحالي يُعاني هذا الموقع من ويلات الجهل والإهمال ، مما يوجب علينا حمايته والمحافظة عليه استقر بها النسان منذ ما قبل التاريخ .

41. الناصري السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء 1997 ، ج3 ، ص79.

42. الوزان ، المصدر السابق ، ص8.

43. يبدو ان المؤلف يقصد أغبال الواقعة على بعد حوالي 3 كلم عن بلدية طافراوى جنوب وهران حاليا ، وعلى بعد أكثر من 10 كلم من بلدية تمزوغة ، وليس مدنا اخرى والتي نجد الكثير منها يحمل هذا الاسم بما فيها أغبال بالمغرب الاقصى فنظرا لقربها من وهران اكثر من تلمسان فقد والت الاسبان المتمركزين فيها.

ليشاهدوا غذاءه فوجدوه عبارة عن مزيج لحم حصان وحبوب شعير كاملة وورق ليمون وأشجار أخرى ليزداد حجمه ، حينها علم الشعب أن ضيق عيش الملك أقوى من ضيق عيش أي مواطن ، وهنا تتجلى لنا ثقة الشعب في ملكه ومدى التحامهم به على الأقل داخل المدينة المحاصرة أي تلمسان ، كما أن الملك أحضر أبناءه وإخوته وأحفاده وخاطبهم بكلمات مؤثرة وختم بقوله انه مستعد أن يموت شجاعا امام العدو بدلا من ان يستمر في حياة بائسة وأنبأهم انه سيهاجم او يرد عدوان المعتدي وعلى من يأنس في نفسه الشجاعة ان يتبعه غدا ، فعبر الكل عن موافقته في موقف آخر يعبر عن تلك اللحمة<sup>44</sup> ، ولحسن الحظ فقد قتل يوسف المريني من قبل أحد خصيائه الذي كان في حالة جنون حسب المؤلف<sup>45</sup>.

اما سكان جبل ونشريس او قبيلة بني توجين فكانوا موالين لملوك فاس بالمغرب الأقصى ولهذا دخلوا في سلسلة من الحروب مع ملوك تلمسان واخذوا يشنون الغارات على تلمسان<sup>46</sup> ، وهناك من القرى من كانت في انفصال تام عن السلطة فكانت تعيش حالة لا أمن دائم مثل أهل تبهرت الذين كانوا يتبادلون الحراسة يوميا لأنه لم يكن بإمكانهم اكتراء جند للقيام بتلك المهمة<sup>47</sup>.

#### 8- العلاقات الاجتماعية بين السكان:

العلاقات الاجتماعية هي الروابط والتفاعلات التي تحدث بين شخصين أو أكثر ضمن مجتمع معين ، وتشمل التواصل اليومي مع الأهل والأصدقاء والزملاء والجيران ، والتي توفر الدعم ، وتعزز الشعور بالانتماء ، وتربط الأفراد ببعضهم البعض ، كما يعتبر النسب والروابط الاجتماعية القائمة عليه سواء كانت حقيقية أو وهمية محركاً أساسياً للتنظيم الاجتماعي وتحديد أدوار الأفراد ومكانتهم ، فبالنسبة لمملكة تلمسان هناك بعض القبائل التي كانت همجية لا تحترم غيرها ، على سبيل المثال سكان جبل ولهاسة الذين كثيرا ما كانوا يعتدون على سكان هنين ويخربون مدينتهم ، بينما تجلت مظاهر الوحدة أثناء الازمات بين أفراد المدينة أو المنطقة الواحدة ، وهذا ما ندركه من خلال توجه الرعاية الى الملك يشكون اليه حالة الغلاء واستفحال المجاعة حينما حاصر المرينيون المدينة لمدة قاربت الثماني سنوات<sup>48</sup> ، كما تجلى ذلك أيضا في الاقدام والاستبسال في الدفاع عن

44. الوزان ، المصدر السابق ، ص18.

45. السلاوي الناصري ، المرجع السابق ، ج 3 ، ص85.

46. الوزان ، المصدر السابق ، ص45.

47. نفسه ، ص15.

48. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص18.

حمية الوطن أو بالأحرى المدينة العاصمة (تلمسان) وفي هذا قال ابن خلدون: (( وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكأن عثمان لم يمت ))<sup>49</sup>، فالمصير المشترك والخوف من تنكيل العدو أصبح محفزا لان يلم أهل تلمسان شملهم لفك الحصار المضروب على مدينتهم ، فبايع الكل أبا زيان بن عثمان بن يغمراسن خلفا لأبيه سلطانا عليهم .  
أما علاقة السكان بأهل الذمة فتمتيزة ، فمثلا كان لليهود حارة خاصة بهم تضم حوالي خمسمائة دار ، هؤلاء اليهود الذين كانوا في معظمهم أغنياء يضعون عمامات صفراء على رؤوسهم تميزهم عن المسلمين ، ويذكر الوزان ان أموالهم وثرواتهم نهبت بعد موت الملك ابي عبد الله عام 923هـ دون الاشارة الى من كان وراء ذلك ، فأصبحوا زمنه يكادون يتكففون الناس<sup>50</sup> ، اي ضاقت ارزاقهم حتى كادوا يمدون ايديهم للتسول .  
ونفس الشيء بالنسبة للنصارى الذين كانوا يتقاطرون على تلمسان في اطار التجارة فكانت لهم فنادق خاصة وكان يمنع عليهم الاختلاط بأهل المدينة وخاصة في الحمامات باستثناء البنادقة<sup>(51)</sup> ، ويحدد لهم زمن لا يجب الجولان في المدينة بعده ، فغالبا ما كانت تشاد بالقرب من الفنادق كنائس خاصة بالمسيحيين والنصارى ، وتتواجد بالقرب منها أيضا المقابر الخاصة بهم ، هذا ما تواجد بتلمسان الزبانية ، وغاب عن المناطق المجاورة لها .

#### 9-العوامل المتحكمة في النمو السكاني :

يتأثر النمو السكاني او تطور عددهم بعدة عوامل منها ما هو ديني ومنها ما هو طبيعي ومنها ما هو سياسي يرتبط بوضعية البلد مع دول الجوار ، فقد تعرض سكان تلمسان في فترات عديدة الى التراجع نتيجة للمجاعات والأوبئة ونتيجة لسياسة الحصار المتكررة التي طبقت عليها من طرف المرينيين خاصة ، فقد انخفض عددهم انخفاضاً رهيباً ثم بدأ العدد في الارتفاع مباشرة بعد انتهاء الحصار الذي راح ضحيته مائة وعشرون الفا<sup>52</sup> ، وتزايد مع ذلك عدد الدور حتى بلغ عددها حسب الوزان ثلاثة عشر الف دار<sup>53</sup> .  
وبعد أربعين عاما من انتهاء الحصار الطويل ، جاء دور أبي الحسن رابع الملوك المرينيين بمدينة فاس فحاصر تلمسان بجيش كبير ، ودام الحصار ثلاثين شهرا وكانت الهجومات تحدث يوميا ، ودخل ملك فاس الى تلمسان عنوة ونهبها وحمل ملكها أسيرا الى

49. عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص 100.

50. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 20.

51. عبد العزيز فيلاي ، المرجع السابق ، ص 138.

52. يحيى بن خلدون ، المصدر السابق ، ص 125.

53. الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 19.

فاس فضرب عنقه وأمر برمي جثته في مزبلة المدينة<sup>54</sup>، أضف الى ذلك كثرة الحروب والمواجهات مع المرينيين ، ومن ذلك موقعة جبل الزاب أين استلحمت جيوش بني مرين من جهة وجيوش بني زيان و جيوش بجاية التي كانت بيد الحفصيين من جهة أخرى ولكثرة ما تساقط من القتلى والجرحى سميت الملحمة بمعركة مرسى الرؤوس<sup>55</sup>.

ان هذه السياسة أدت الى انتشار الامراض والأوبئة الفتاكة نتيجة الظروف المزرية التي عاشها اهل تلمسان وفي هذا السياق يقول السلاوي: "فنال أهل تلمسان من الحصار الكثير من الجهد والشدة مالم ينل أمة من الامم واضطروا الى اكل الجيف والقطط والفئران حتى انهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخرّبوا اسقف البيوت للوقود وعلت اسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق..."<sup>56</sup>.

#### الخاتمة:

حاول الحسن الوزان من خلال رحلته وزيارته لتلمسان أن يعطينا صورة عنها وعن ضواحيها ، فكانت الصورة شاملة لكن تنقصها الدقة والتركيز في كثير من الامور لدرجة أنه أدلى بامور قد لا تجد لها ارضية في الواقع منها ما هو جغرافي ومنها ما تعلق بالابعاد والمسافات وتناقضه مع نفسه أحيانا في ارقام كررها مختلفة ، كما اعتمد في بعض الاحيان اسلوب المقارنة وخاصة بين مظاهر الحياة في تلمسان وبعض المدن المغربية ومنها فاس ربما لما وجده بين المدينتين من تشابه في العادات والتقاليد ومظاهر الحضارة ، وقد يلتبس له العذر لانه كان رحالة يصف ما يصادفه ، ولم يكن مؤرخا محصا ومقلبا عن الأحداث وجذورها كما يفعل المؤرخ المتخصص ، اما عن ما ذكره عن المجتمع في تلمسان وضواحيها فجاء مجتزءا اذ غابت عنه الكثير من الامور فيما يخص المأكل والملبس وخاصة عند النساء ناهيك عن الكثير من العادات والتقاليد التي ميزت هذا المجتمع .

---

54. قال ابن مرزوق في مسنده عن حال اهل تلمسان ومدينتهم تتعرض للحصارات والغارات المتكررة ((وما تلقيته من قدماء اهل بلدنا ، فلم أجد بينهما مناسبة فكم خربت فيها من ذمم وكم هلكت فيها من أمم وكم انجلى من أهلها اعلام ، وكم كابدوا من محن فيها وانتقام ))المسند ص203

55. محمد بن عمرو الطمار ، تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص100.

56. انظر ، السلاوي الناصري ، المرجع السابق ، ص85 ،

قائمة المراجع:

1. ابن خلدون يحيى ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ، مطبعة بيبير فانتانا الشرقية 1903.
2. ابن قنفذ ، انس الفقير وعز الحقير ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ، مطبعة أكدا 1965 .
3. الناصري السلاوي ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ، محمد الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء 1997 ،
4. الوزان الحسن ، وصف افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر ، ط2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1932.
5. \_عبد العزيز فيلاي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر 2002 ،
6. ابن خلدون عبد الرحمن ، المقدمة ، تحقيق عبد الله محمد الدرويش ، ، دمشق: دار يعرب ، ط2004 ، 1 ،
7. الطمار محمد بن عمرو ، تلمسان عبر العصور ، دورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984.
8. القلقشندي ، صبح الاعشى في صناعة الانشا ، الطبعة الاميرية ، القاهرة 1915.
9. أحمد العبدري البلنسي ، الرحلة المغربية ، تقديم سعد بوفلاقة ، منشورات بونة للبحوث والدراسات 2007.
10. المقرئ ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج5 ، دار صادر بيروت 1963.
11. مرمول كربخال ، افريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر وآخرون ، دار نشر المعارف ، الرباط 1988 ،